

## **ولاية الله سبحانه و الولادة المضادّة في القرآن الكريم و دورهما في الوحدة والفرقة**

**ولاية الله سبحانه و الولادة المضادّة**

**في القرآن الكريم و دورهما في الوحدة والفرقة**

الدكتور الشيخ نبيل الحلباوي - سوريا

باحث و مفكر إسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

المحور الأول - في الولاية عموماً :

أولاً: الولاية في اللغة:

1- قال الراغب (الولاء حصول شيئاً ليس بينهما ما ليس منهما، ثم استعير للقرب مكاناً ونسبة وصداقه ونظره واعتقاداً)، والولاية بكسر الواو النصرة، والولاية بفتح الواو تولي الأمر، وقيل الولاية والولاية

واحدة نحو الدلالة والدلالة، وحقيقة تولي الأمر، والولي<sup>٣</sup> والمولى يستعملان في ذلك كل واحد منها، يقال في معنى الفاعل أي الموالي(بكسر اللام)، ومعنى المفعول أي الموالى (فتح اللام)، يقال للمؤمن: هو ولـي<sup>٤</sup> إله عز وجل، ولم يـرـد مولاـه، وقد يـقـال: إله ولـي<sup>٥</sup> المؤمنين وـمـولاـهم.

ويرى العـلـامـةـ الطـبـاطـبـائـيـ فيـ قـوـلـ الرـاغـبـ رـأـيـاـ (والـظـاهـرـ أـنـ) الـقـرـبـ الـكـذـائـيـ المـعـدـرـ عـنـهـ بـالـوـلـايـةـ إنـماـ اـعـتـيرـ فـيـ الـأـجـسـامـ وـأـمـكـنـتـهـ وـأـزـمـنـتـهـ ثـمـ اـسـتـعـيـرـ لـأـقـسـامـ الـقـرـبـ الـمـعـنـوـيـةـ،ـ بـالـعـكـسـ مـاـ ذـكـرـهـ،ـ لـأـنــ هـذـاـ هـوـ الـمـحـصـلـ مـنـ الـبـحـثـ فـيـ حـالـاتـ الـإـنـسـانـ الـأـوـلـيـةـ،ـ فـالـنـظـرـ فـيـ أـمـرـ الـمـحـسـوـسـاتـ وـالـاشـتـغـالـ بـأـمـرـهـ أـقـدـمـ فـيـ عـيـشـةـ الـإـنـسـانـ مـنـ الـتـفـكـيرـ فـيـ الـمـعـقـوـلـاتـ وـأـنـحـاءـ اـعـتـبـارـهـ وـالـتـصـرـفـ فـيـهـ)ـ الـمـيـزـانـ 12/6ـ

ثـانـيـاــ الـمـعـنـىـ السـائـدـ لـلـوـلـايـةـ فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ:

ويذهب العـلـامـةـ الطـبـاطـبـائـيـ إـلـىـ أـنـ ثـمـةـ مـعـنـىـ يـسـودـ فـيـ مـخـتـلـفـ الـأـلوـانـ اـسـتـخـدـامـ كـلـمـةـ الـوـلـايـةـ فـيـ الـقـرـآنـ (فـالـمـحـصـلـ مـنـ مـعـنـىـ الـوـلـايـةـ فـيـ مـوـارـدـ اـسـتـعـمـالـهـ نـحـوـ مـنـ الـقـرـبـ يـوـجـبـ نـوـعـاـ مـنـ حـقـ التـصـرـفـ وـمـلـكـيـةـ الـتـدـبـيرـ)ـ مـ.ـ نـ 12/ـ6ـ.

ويوضح هذا المعنى السائد في موارد استعمال كلمة الولاية بقوله (ولـي<sup>٦</sup> النـصـرـ يـتـصـرـفـ بـأـمـرـ الـمـنـصـورـ)ـ من حيث تقويته في الدفاع، وإلهـ سـبـحـانـهـ ولـي<sup>٧</sup> عـبـادـهـ،ـ يـدـبـرـ أـمـرـهـ فـيـ الـدـنـيـاـ وـالـآخـرـةـ وـلـاـ ولـي<sup>٨</sup> غـيرـهـ،ـ وـهـوـ ولـي<sup>٩</sup> الـمـؤـمـنـيـنـ يـدـبـرـ أـمـرـ دـيـنـهـ بـالـهـدـاـيـةـ وـالـدـعـوـةـ وـالـتـوـفـيقـ وـالـنـصـرـةـ وـغـيرـ ذـلـكـ،ـ وـالـنـبـيـ ولـيـ الـمـؤـمـنـيـنـ مـنـ حـيـثـ إـنـ لـهـ أـنـ يـحـكـمـ فـيـهـ وـلـهـمـ وـعـلـيـهـمـ بـالـتـشـرـيـعـ وـالـقـضـاءـ)ـ مـ.ـ نـ 12/ـ6ـ.

ومن المهم هنا التنوية بأنه حيث ذكرت ولاية الله في القرآن الكريم وما ينتهي عنها في قوس النزول من ولاية رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يتفرع عن هذه من ولاية لخاصية المؤمنين كما في قوله تعالى "إنما ولـيـكمـ إـلـهـ وـرـسـوـلـهـ وـالـذـيـنـ آـمـنـواـ الـذـيـنـ يـقـيـمـونـ الـصـلـاـةـ وـيـؤـتـونـ الـزـكـاـةـ وـهـمـ رـاكـعـونـ".ـ فإذاـ نـماـ تـعـنيـ أـنـ إـلـهـ أـوـلـىـ بـالـمـؤـمـنـيـنـ مـنـ أـنـفـسـهـمـ وـهـكـذاـ رـسـوـلـهـ الخـ....ـ بـقـرـيـنـةـ حـدـيـثـ الغـدـيرـ إـذـ يـمـهـدـ الرـسـوـلـ فـيـهــ كـمـاـ يـرـىـ أـتـبـاعـ مـدـرـسـةـ أـهـلـ الـبـيـتـ عـلـيـهـمـ السـلـامـ لـإـعـلـانـ وـلـاـيـةـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ عـلـيـهـ السـلـامـ بـسـؤـالـهــ :ـ أـلـستـ أـوـلـىـ بـالـمـؤـمـنـيـنـ مـنـ أـنـفـسـهـمـ؟ـ وـحـينـ يـأـتـيـهـ الـجـوابـ مـنـ قـرـئـواـ الـقـرـآنـ وـوـعـوهـ:ـ بـلـىـ يـارـسـوـلـ إـلـهــ يـقـوـلـ:ـ أـلـاـ مـنـ كـنـتـ مـوـلاـهـ (أـوـ أـوـلـىـ بـهـ مـنـ نـفـسـهـ)ـ فـعـلـيـ مـوـلاـهـ.

وقد ذكر هذا المعنى على نحو من الإجمال العلامة الطباطبائي فيما سيأتي من حديثه عن الولاية التشريعية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولكن<sup>٦</sup> العلامة يجزم بأن معنى ولاية الرسول الكريم في القرآن المجيد لا يتضمن نصرة النبي للمؤمنين وأنه ولاية التصرف وما يقتضيه من الحب والمودة (ولذلك لا نجد القرآن، يعد<sup>٧</sup> النبي<sup>٨</sup> ناصراً للمؤمنين ولا في آية واحدة، وحاشا ساحة الكلام الإلهي أن يساهل في رعاية أدبه البارع، وهذا من أقوى الدليل على أن المراد بما ذُُسب إلى النبي من الولاية في القرآن هو ولاية التصرف أو الحب أو المودة كقوله تعالى "النبي<sup>٩</sup> أولى بالمؤمنين من أنفسهم" الأحزاب ٦. قوله تعالى "إنما ولهمكم الله<sup>١٠</sup> ورسوله والذين آمنوا" المائدة ٥٥.

فإن الخطاب للمؤمنين، ولا معنى لعد<sup>١١</sup> النبي<sup>١٢</sup> ولهم<sup>١٣</sup> ولاية النصرة كما عرفت)

من ٧ - ٨/٦

ولعل<sup>١٤</sup> من المناسب أن يقال هنا إن<sup>١٥</sup>ه ليس ثمة مشكلة في إسناد الولاية بمعنى النصرة إلى النبي تجاه المؤمنين كما في نصرة الله لعباده ولكن المهم<sup>١٦</sup> أن<sup>١٧</sup> معنى أن<sup>١٨</sup> النبي<sup>١٩</sup> أولى بالمؤمنين من أنفسهم قائم في ولايته عليهم وأن رأفته ورحمته كما في قوله تعالى: "لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنت<sup>٢٠</sup>م حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم" التوبة ١٢٨ وسواها من المحبة والمودة لهم إنما هي من لوازم ومقتضيات هذه الولاية بمعنى (أنه أولى بهم من أنفسهم)، وكذلك الأمر في ولاية خاصة المؤمنين المتفرعة من ولايته.

ويذهب العلامة في موضع آخر من تفسيره إلى توضيح هذا المعنى وتنقيحه ( "النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم" الأحزاب ٦ معناه أنه أولى بهم منهم، وإذا دار الأمر بين ما يراه المرء لنفسه من الحفظ والكرامة فالنبي أولى به منه، وعلى المرء أن يفديه بنفسه، وكذا النبي أولى بهم في أمورهم الدينية والدنيوية لمكان الإطلاق) م.ن 16/276.

ثالثاً: الولاية في قوسِي النزول والصعود:

تبين من المعنى اللغوي والاصطلاحي والاستعمال القرآني للولاية أنها ذات قوسيين. قوس نزول فهي كما ورد في قوله تعالى "إِنَّمَا وَلِيَّكُم مَا وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا يَقْرَبُونَ الْمَلَائِكَةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ" المائدة 55.

وقوس صعود كما في تتمة الآية المذكورة "وَمَن يَتَوَلَّ إِنَّمَا وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا هُمْ الْمُفْلِحُونَ" المائدة 56.

وسيأتي مزيد من الحديث عن هذه الآية في الولاية الإيجابية المقابلة للولاية السلبية.

ولكن كلمة ولّي كما ذكر تستعمل في الاتجاهين فتارة "إِنَّمَا وَلِيَّ الَّذِينَ آمَنُوا يَخْرُجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ" البقرة 257 و "ذَلِكَ أَنَّمَا مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا" محمد 11.

وتارة "أَلَا أَنَّ أَوْلَيَاءَ إِنَّمَا لَا خُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" يونس 62.

فالمؤمنون ها هنا أولياء إِنَّمَا وإن كانوا مواليه.

ويلاحظ الشيخ الجوادى الآملى ملاحظة قيّمة ها هنا و هي أن" (الولاية إضافة متواقة الطرفين - لا متخالفة الطرفين كالأبوة والنبوة - فالإنسان ولّي إِنَّمَا ولّي الإنسان فهي كالأخوة مع حفظ الفارق. فمن كان قريباً من إِنَّمَا قريب منه. لكن" القرب حاصل من إِنَّمَا دائمًا، وليس كذلك من قبل الإنسان، فثمة إضافة إشراقية حيث ليس إلا المضاد إليه، لا إضافة اعتبارية مقولية حيث يتساوى الطرفان ويكون الارتباط بينهما على حد سواء).

وسيتضح فيما يأتي من الحديث عن الولاية والتولى أن" الولاية من حيث الأصل (إِنَّ) وأن" الانبعاث (إلى رسول إِنَّمَا) وإلى (ولى إِنَّمَا) هو بيد إِنَّمَا لا بيد سواه فهو يفيضها على من يشاء من عباده وأوليائه. وكلهم مواليه. وليس لأحد أنها اختيار، وأما التولى إِنَّمَا ولأولياء إِنَّمَا فهو فعل إنساني مختار قد يأخذ بهذه الولاية إيجاباً فينعم بخصوصيات وآلاء وبركات، وقد لا يأخذ بها ويعامل معها سلباً. ويلوذ بسواها فيتعلق بأوهام وأباطيل وترهات .

ويرى الشيخ الجوادى الآملى أن الولاية للإنسان على نفسه طريق لاستدلال الإنسان على ولاية إِنَّ على خلقه : فكما تهيمن نفسك على تصرفاتك الاختيارية باعتبار هذه التصرفات صادرة عنها وخاصة لها، فإن إِنَّ له

ولاية مهيمنة على خلقه وقد صدروا عنه وخلقوا بأمره وهم أثر من آثاره، وتشملهم هذه الولاية جميعاً شاؤوا أم لم يشاوؤا لأنها فرع ربوبيته العامة الشاملة، ولكن ثمة ولاية خاصة كرحمته الخاصة هي للمؤمنين، وولاية أخص للأنبياء والأولياء وعباده المقربين، وفي الولaitين الأخيرتين هاتين يكون من معاني الولاية ومقتضياتها لطفه ومحبته ونصرته.

#### رابعاً: الولاية الحقيقة والاعتبارية:

وبيت القصيد هنا - من معاني الحقيقة والاعتبار- كما يرى الشيخ الجودي الأملسي، أنّ ما لا دخل للإنسان وعمله الاختياري في وجوده وعدمه كولاية الله على الإنسان (وما ينبع عنها من ولاية النبي)، وما يتفرع عنها من ولاية خاصة المؤمنين) وكذلك ولاية الإنسان على نفسه إنما هو ولاية حقيقة. وأما ما للإنسان ولعمله الاختياري دخل في وجوده وعدمه كالملكية والرئاسة والزوجية فهو اعتباري.

مع التأكيد على نقطتين:

- 1- أنّ ولاية غير الله بتأكيدها وتأييدها من الله تعالى - وإن كانت حقيقة وبأمر من الله - ليست عرضية ولا طولية وإنما هي مظهر وتجلي على نحو القناعة والانبعاث والتفرّع وتسري فيها وعليها وفوقها وقبلها وبعدها ولاية الله عز وجل.
- 2- أنّ كلّ ولاية حقيقة أو اعتبارية إنما تستند بحسب التوحيد الأفعالي إلى الله تعالى كما تستند إليه الأمور الحقيقة والاعتبارية جميعاً.

#### خامساً: الولاية التكوينية والتشريعية:

الله على عالم التكوين الذي أبدعه وخلق ما خلق فيه، بما هو موجود وربّه " ألا له الخلق والأمر" الأعراف 54 ولاية تكوينية : لا تخلّف ولا تحدّ ولا تردّ ولا ينوب عنها سواها و لا يفوّض في أمرها إلى أحد من الخلق، وما الملائكة إلا موظفون مخلوقون سُخروا في خدمتها وهم رهن مشيئتها، وما يجري على أيدي بعض

الأنبياء إنما هو تجلٌّ من تجلياتها وبإذنها، ولا يملك أحد من دون الله من نفسه شيئاً ولا يفارقه فقره الذاتي وارتباطه وخضوعه لعز وجل. ولله على عالم التشريع بما يشرعه للناس من منهج إلهي يحكم به أفعالهم ويصدقها في مناطق من الحلال والحرام والوجوب والاستحباب والكرابه. ومن أوضاع كالزوجية والملكية وسواها ومن ميراث وحدود وقضاء وغيرها ولاية هي الولاية التشريعية، وكل من ائمن على تفصيل أبعادها وجوانبها وأركانها ومكوناتها من نبي أو ولدي؛ فإنما يقول ما يقول ويفعل ما يفعل بخضوع وانقياد وأمانة لما قضى به وشرعه سبحانه لا يجاوزه ولا يتعداه.

وما ثبت للنبي الأكرم - لا على نحو التفويض - من التبيين للشع و التفصيل فيه :

"وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم" النحل 44.

ومن القضاء بين الناس بما أراه إلّا :

"إِذَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِفِينَ خَصِيمًا" النساء

105.

وَمَا جَعَلَ لَهُ مِنَ الْتَّصْرِيفِ فِي أَمْوَالِهِمْ وَمَا يَشْجُرُ بَيْنَهُمْ مِنْ اختِلافٍ؛ وَمَنِ الْحُكْمُ مَقْتَرٌ نَّا<sup>١</sup> بِتَسْلِيمِهِمْ لَهُ قَلْبًا<sup>٢</sup>  
وَقَلْبًا<sup>٣</sup> شَرْطًا<sup>٤</sup> لِقَبْوِلِ إِيمَانِهِمْ بِآٰتِ عَالِيٍّ:

" فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسأّلهموا تسلیماً " النساء 65.

كلّ ذلك إنما هو من الولاية التشريعية التي جعلها الله لنبيه من لدنها. وهو القدر المسلط بموجب نصّ القرآن عند جميع المسلمين.

نعم تفترق الولاية التشريعية عن التكوينية بأن التكوينية لا تختلف، وأما التشريعية فهي تخاطب الناس المختارين وهم بين منقاد لها باختياره ومتمرد عليها باختياره، ولكن الجميع رهن الإرادة التكوينية في الدنيا والآخرة ومحاسب على موقفه من الإرادة التشريعية والولاية التشريعية عند الله تعالى.

السادس: أولياء الـهبة والاكتساب:

أمّا أنّ إنساناً كيف يكون ولیاً ① ويصل إلى هذا القرب المعنوي وهو أرقى وأسنى وأغنى ما ينبغي أن يتطلع إليه الإنسان، فثمة من وهبوا تلك الولاية ولكن هذه الهبة الإلهية لا تكون عبثاً وإنما هي توءم الحكمة الإلهية والعلم الإلهي: "إِنَّ أَعْلَمَ حِيثُ يَجْعَلُ رَسُولَهُ" وكذلك هو أعلم حيث يجعل الولاية لأحد خلقه من نبيٍّ أو وصيٍّ.

ثم إنّ هذه الولاية، وإن اقتضت العصمة وهي بدورها موهوبة من الله تعالى للأنبياء والأوصياء ولبعض من سواهم؛ لكن العصمة ها هنا لا تعني منتهى شوطهم من الكمال وموقعاً محدداً لا يتعدونه من القرب وإنما هي منطلق حركتهم ومراجهم المعنوي، وهم فيه يتنافسون ويتفاضلون ويتفاوتون بحسب ما يبذلون ويضحّون ويقدّمون ويترقّبون ويتكلّمون.

ولكن الطرق لغير المعصومين ليست مغلقة في وجه سيرهم في معراج الولاية إلى مستويات رفيعة من القرب ولا في تحقّقهم بعصمة مكتسبة، ولكن ذلك يتطلّب جهاداً وجهاداً على صعد المعرفة والإيمان والتقوى والخلق والعمل. فإذا وصل واصل فهو مصدق لقوله تعالى:

"ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكأنوا يتذرون" يوئس 63-62.

ويقول العلامة الطباطبائي في ذلك (فإن سبحانه ولن يعبد المؤمن؛ لأنّه يلي أمره ويدبر شأنه فيهديه إلى صراطه المستقيم، ويأمره وينهاه فيما ينبغي له أولاً ينبغي له وينصره في الحياة الدنيا وفي الآخرة، والمؤمن حقاً ولن ربّه لأنّه يلي منه طاعته في أمره ونهيه، ويلي منه عامة البركات المعنوية من هداية وتوفيق وتأييد وتسديد، وما يعقبها من الإكرام بالجنة والرضوان) الميزان 10/89

ويضيف (وبورود الإنسان في رياض الولاية الإلهية وقربه من مقام القدس والكرياء ينفتح بوجهه باب إلى ملوك السموات والأرض) (من 10/90).

ولافق البحث في ترقّي الإنسان إلى أن يكون ولنا ② و البراق المنشود إلى هذا الترقي بحث منيف شريف في كتاب (ولاية الإنسان في القرآن) للشيخ الجوادي الاملي ③، ومنه اقتبس كل نفحات الشيخ الجليل في هذا البحث.

المحور الثاني: الولاية الإيجابية والولاية السلبية (المضاد ④)

أولاً: في المضمنون:

ليس ثمّ في الكون وعلى الإنسان إلا الولاية الإلهيّة وهي الولاية الحقّة الحقيقية تكوينيّة وتشريعية؛ وأما ما سواها من ولاية يدّعى مُدعّع أو يتعلّق بها متعلّق فهي ولاية باطلة وسراب لا حقيقة لها؛ لأن الولاية كما سبق من لوازם الربوبية، ولا ربوبية إلا الله تعالى في عالم التكوين وعالم التشريع وكل ربوبية لسواه وهم وهباء.

وقد اصطلاح على تسمية ولاية الله بالولاية الإيجابيّة. وأما ما ينبع عنها من ولاية رسول الله وما يتفرع عنها من ولاية ولی الله فإنما يعود ويؤول إلى ولاية الله؛ وليس أكثر من مظهر لها وتجلّ بمشيئة الله، والله هو الأول والآخر والظاهر والباطن وولايته هي الولاية فلا علاقة عرضية ولا طولية كما تبيّن مما سبق.

أما الولاية السلبية أو (المضادة) فهي ولاية مَنْ سوى الله في مقابل ولاية الله، كما أدعّاها بعض المدعين وتنطّع لها بعض المتنطّعين وآمن بها وخصوص لها من خصع من المغضوب عليهم والضالين والكافرين والملحدين وقبيلهم أجمعين.

وحقيقة الأمر أن ليس ثمة ولاية سلبية وإنما هو سلب الولاية عن سوى الله عز وجل، وبيان أنها لا حقيقة لها وأنها باطلة ومحمّضة دعاء، وقد ذكر القرآن ذلك بتأكيده أن لا ولاية لغير الله تعالى "أم اتخذوا من دونه أولياء فما هو الولي" الشورى 9.

"ومالكم من دون الله من ولی ولا نصیر" التوبة 74.

"ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم" محمد 11.

ويمثل القرآن الكريم للولاية السلبية الباطلة الموهومة المصطنعة وأزّها لا تتحقق شيئاً بمثائل العنكبوت وبيتها الذي لا يقي من حر ولا برد ولا يستر ساكنه :

"مثُل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيته وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون" العنكبوت 41.

وقد تذكر بعض الآيات القرآنية ولاية غير الله وهي لا تعني التوكيل وتركهم يعملون ما يشاؤون، وهي بقراءن

من آيات عديدة تنفي أن يكون ثمة ولية حقيقة لغير الله تعالى، وإن جاءت تارة بلغة الجعل :

إنما جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون "الأعراف 27.

و تارة بلغة الإخبار:

"والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت" البقرة 257.

"فريّن لهم الشيطان أعمالهم وهو ولدّهماليوم ولهم عذاب أليم" النمل 63.

ثانياً : ولية المؤمنين بعضهم بعضاً وولية غيرهم بعضهم بعضاً :

ثمة ولية متبادلة بمعنى النصرة والمحبة وسيأتي الحديث عنها في آثار الولاية الإيجابية من الوحدة والتعاضد والتعاون في القيام بالواجبات الدينية:

"المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله، أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم" التوبة 71.

وسيأتي الحديث كذلك عن آثار الولاية السلبية من التشدد والتفرق على الرغم من ظاهر التعاضد والتآلف لأن الولاية السلبية كما أسلفنا ليست بولاية:

" وإن" الطالمين بعضهم أولياء بعض، والله ولهم المتقين" الجاثية 19.

ثالثاً: التولي والتبرّي: ويتناولان موقف العبد المؤمن من الولاية على الصعيد العملي؛ فإن كان مؤمناً فإن اعتقاده بولاية الله وأن لا ولاية لسواه من دونه، ينبغي أن يُترجم سلوكياً في تولي الله لأولياء الله لأعداء الله، وتبرّيه من كل صلة روحية وتعاطف حميم وولاء لهم وتعوييل عليهم والعمل لتحقيق مصالحهم وأغراضهم السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية.

ولذا جاء التحذير للمؤمنين من تولي الله غير الله من دونه والموادّة لهم والدعوة إلى تولي الله ورسوله والذين آمنوا بأساليب متعددة منها :

- 1- أسلوب الشرط: "ومن يتوله رسوله والذين آمنوا فإن حزبهم هم الغالبون" المائدة 56

- 2- أسلوب النفي: "لا تجد قوماً يؤمنون بما واليوم الآخر يوادون من حاده" هـ رسوله ولو كانوا آباءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهر خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزبهم، ألا إن حزبهم هم المفلحون" المجادلة 22.

وما أعظم ما تبين الآيتين من شهادة إلهية في وصف حزبهم من لدنهم وتبين خصائصه والوعد له بالغلبة والفالح؛ وهو حزب الولاية الإيجابية والتولى لأولياء الله.

- 3- أسلوب النهي:

"يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوكم وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق" "المتحنة" 1

"لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، ومن يتولهم منكم فإنهم منهم" المائدة 51

"لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء" آل عمران 27

"لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم لهواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكافر أولياء ومن يتولهم منكم فإنه منهم، إن الله لا يهدي القوم الظالمين" المائدة 57

"لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الطالمون" التوبة 23.

ففي النهي عن توليه عدوهم وعدو المؤمنين وعن تولي الكافرين والمستهزئين بالإسلام، وحتى الآباء والإخوان من الكافرين دعوة إلى التبرؤ منهم. وإنذار لمن يواليهم بأذنه منهم وليس من الله في شيء وأذنه من الطالمين.

#### - 4- أسلوب الأمر:

"فقاتلوا أولياء الشيطان إن" كيد الشيطان كان ضعيفا" النساء 79.

وفي الأمر هنا دعوة إلى ما هو أبعد من التبرّي؛ ألا وهو قتال أولياء الشيطان والوعد بالنصر حين يتواجه الفريقيان ويتجاذباهان:

"الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن" كيد الشيطان كان ضعيفا" النساء 79

#### - 5- أسلوب الاستفهام الإنكاري:

"الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أيبتغون عندهم العزة فإن" العزة الله جميما"

النساء 139

وفي الآية تأكيد أن لا عزة إلا بولاه الله عز وجل.

المحور الثالث: الولاية الإيجابية والسلبية في الأمة:

أولاً: آثار الولاية الإيجابية في الأمة:

- 1- العزة: "فإن" العزة الله جميما" النساء 139

- 2- الرحمة: "وينشر رحمته وهو الولي" الحميد" الشورى 28

- 3- الغلبة: "ومن يتول" الله رسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون" المائدة 56

- 4- الفلاح: "ألا إن" حزب الله هم المفلحون" المجادلة 22

- 5- الغفران: "أنت وليّنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين" الأعراف 155

- 6- الصلاح: "فاطر السموات والأرض أنت وليّ في الدنيا والآخرة توفّنني مسلماً وألحقني بالصالحين"

يوسف101

- 7- نفي الخوف من المستقبل والحزن على الماضي: "ألا إن" أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون"

يونس62

- 8- حسن الثواب والعاقبة مع ظهور الولاية للحق في الآخرة : "هناك الولاية للحق هو خير

ثواباً وخير عقباً" الكهف44

- 9- دار السلام عند الله والولاية الخاصة بسبب أعمالهم : "لهم دار السلام عند ربهم وهو ولهم بما

كانوا يعملون" الأنعام 127

وهي جميعاً ركائز وحدة الأمة على الصعيد العقديّ و النفسيّ و المعنويّ؛ فـ الله الواحد الأحد يفرض على الأمة وحدتها بولايته ويقيها شرّ ولادة الشيطان والطاغوت، و يأخذ بيدها إلى خير الماضي والحاضر والمستقبل، بل يرصّ صفوفها ويجمع قوتها في اتجاه هدف واحد لتنتصر على عدوها ولتكون أمة حزب الله الغالبين .

ثانياً: آثار الولاية السلبية في الأمة:

- 1- الذلة: "أي بتغون عندهم العزة" النساء 139

- 2- الخسران المبين: "ومن يتّخذ الشيطان وليناً من دون الله فقد خسر خسراً مبيناً" النساء 119

- 3- الضلال: " ومن يضلّ فلن تجد له وليناً مرشدًا" الكهف 17

- 4- الاتصاف بالظلم: " ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون" التوبة 23

- 5- الضعف والخذلان: "فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً" النساء 194

- 6- العذاب الأليم: " فزين لهم الشيطان أعمالهم وهو ولهماليهم اليوم ولهم في الآخرة عذاب أليم" النحل

7- الابتلاء بالولاية الكاذبة جنباً إلى جنب مع الكافرين وأعداء الله: " ومن يتولهم منكم فإنهم في المائدة 51

8- الحرمان من الولاية الخاصة : " ذلك بأن" الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم" محمد 11

وفي كل ذلك من عوامل التفرق والتشتت في الأمة ما فيه.

ثالثاً: موازنة بين الولاية الحقيقة ودورها في الوحدة والولاية المضادة دورها في التفرقة:

1- ظاهر الولاية الحقيقة وباطنها محبة فهي تؤسس للوحدة وترسّخها في النفوس، وأما ظاهر الولاية المضادة فمحبّة وباطنها عداوة:

"تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى" الحشر 14 ولذا فهي تستبطن الفرقـة وتؤسس لها .

2- الولاية الحقيقة تدبر أمر أوليائـها وتعقد أواصر القربـي بينـهم بعد إذ تحققـوا بـمقـام القرـب، وأما الولاية السلـبية المضـادة فـعاجـزة عن تـدبرـ أمر زـعمـائـها فـضلاً عن أـتبـاعـهـا باـعـتـراـفـ أولـئـكـ الزـعـماءـ أـنـفـسـهـمـ، وهذاـ ماـ يـتـضـحـ فيـ آخرـ المـطـافـ لـكـلـ"ـ غـافـلـ :

"وقال الشيطان لـمـا قـُضـيـ الأـمـرـ إـنـ" الله وعدـكمـ وـعـدـ الـحـقـ"ـ وـعـدـتـكـمـ فـأـخـلـفـتـكـمـ وـمـاـ كـانـ لـيـ عـلـيـكـمـ منـ سـلـطـانـ إـلاـ أـنـ دـعـوـتـكـمـ فـاسـتـجـبـتـمـ لـيـ فـلـاـ تـلـوـمـونـيـ وـلـوـمـواـ أـنـفـسـكـمـ مـاـ أـنـاـ بـمـصـرـخـمـ منـ العـذـابـ وـمـاـ أـنـتـمـ بـمـصـرـخـيـ"ـ إـنـيـ كـفـرـتـ بـمـاـ أـشـرـكـنـمـوـنـ مـنـ قـبـلـ إـنـ"ـ الطـالـمـينـ لـهـمـ عـذـابـ أـلـيمـ"ـ إـبراـهـيمـ 22

3- ولـيـ"ـ الـوـلـاـيـةـ الـحـقـيقـيـةـ وـاحـدـ وـأـولـيـاءـ الـوـلـاـيـةـ الـمـضـادـةـ مـتـشـاكـسـونـ؛ـ وـهـذـاـ يـنـعـكـسـ عـلـىـ مـنـ يـتـوـلـاهـمـ وـحدـةـ فـيـ الـأـوـلـىـ وـفـرـقـةـ وـتـشـتـيـتاـ"ـ فـيـ الـأـخـيـرـةـ :

"صـرـبـ اللهـ مـثـلـاـ رـجـلـاـ فـيـهـ شـرـكـاءـ مـتـشـاكـسـونـ وـرـجـلـاـ سـلـاـ ماـ لـرـجـلـ هـلـ يـسـتـوـيـانـ مـثـلـاـ الـحـمـدـ اللهـ بـلـ أـكـثـرـهـمـ لـاـ يـعـلـمـونـ"ـ الـزـمـرـ 29

-4- الولاية من لوازم الربوبية ولا وحدة إلا بالرب<sup>٢</sup> الواحد ، وكل ربوبية من دونه ولاية لازمة لها تفريق وتبديد وشذوذ بأرباب متفرّقين :

" يا صاحبي السجن أ أرباب متفرّقون خير أم إِنَّ الْوَاحِدَ الْقَهَّارَ " يوسف 39

-5- وصف إِنَّ تَعَالَى وهو خير الواصفين ولاليته للذين آمنوا بأنها إخراج لهم من الظلمات إلى النور والولاية المضادّة بأنها إخراج للناس من النور إلى الظلمات ، و النور واحد موحّد و الظلمات شتّى مفترّقة :

" إِنَّ وَلِيَّ الَّذِينَ آمَنُوا يَخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلَمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكُمُ الطَّاغُوتُ يَخْرُجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلَمَاتِ أُولَئِكُمْ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " البقرة 257

-6- تولّي الولاية الحقيقة هو المراط المستقيم من إِنَّ إليه ، و أما تولّي الولاية المضادّة فهو اتباع للسلب و هي مفترقة للأمة :

" وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفَرَّقُ بَعْدَكُمْ وَمَمْلَأُوكُمْ بِهِ لَعْنَكُمْ تتقون " الأنعام 153

-7- محمد رسول إِنَّ صَلَّى إِنَّ عليه و آلِه و سَلَّمَ فضلاً عن ولاليته على الأمة المقرّرة بنص القرآن الكريم :

" إِنَّمَا وَلِيَّكُمْ إِنَّ وَرَسُولَهُ... " المائدة 55

و بما أنه رسول إِنَّ وخاتم النبيين :

" ما كان محمد أبا أحد من رجالكم و لكن رسول إِنَّ و خاتم النبيين و كان إِنَّ بكلّ شيء عليماً " الأحزاب 40

فولاليته تشمل أتباع الرسل و الأنبياء أجمعين ؛ بل هو رسول الولاية الحقيقة إلى العالمين :

8- ولأنه القرآن الكريم هو المصدق لكل الكتب السماوية و المهيمن عليها وفيه كل ما هو نقي فيها وليس فيها كل ما فيه :

" و أنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله و لاتتبع أهواءهم عما جاءك من الحق " لكل جعلنا منكم شرعة و منهاجاً و لو شاء الله لجعلكم أمة واحدة و لكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون " المائدة 48

لكل ذلك كان القرآن كتاب الولاية الحقيقة الذي يستوعب الكتب السماوية السابقة و لا تستوعبه .

9- و كذلك لمّا كان الإسلام هو الدين عند الله :

" إن الدين عند الله الإسلام " آل عمران 19

و هو يسّع الشرائع السماوية كافة و يتطلب من أتباعه الإيمان بها جميعاً :

" آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربّه و المؤمنون كلّ آمن بما و ملائكته و كتبه و رسالته لا نفرق بين أحد من رسالته و قالوا سمعنا و أطعنا فغفرانك ربّنا و إليك المصير " البقرة 285

كان إذا دين الولاية الحقيقة ، ومن هنا كان ظهوره على الدين كلّه ظهوراً للدين كلّه ولحساب كلّ أتباع الشرائع لا على حسابهم .

10- وإذا كان خط الإمام المعصومة وهو امتداد خط النبوة بنص القرآن متفرّعاً من ولاية الرسول الأكرم المنطلقة من ولاية الله تعالى:

" إِنَّمَا وَلِيَّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِأَنَّمَا طَلِيعَيْهِ دَخْلُ الْأُمَّةِ ، تَسْهُرُ كَمَا الْأَئِمَّةُ عَلَى وَحْدَتِهَا ، وَتُرْفَضُ كُلُّ دُعَوَاتٍ

كان هو من ينفح الأمة بأمسّ طليعيّة داخل الأمة ، تسهر كما الأئمّة على وحدتها ، وترفض كل دعوات

تشتيتها مهما كان ثمن الموقف ، أي حتى لو بلغ مستوى تخلّي الأئمة عن المطالبة بالحكم وهو فرع من فروع ولائهم. "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير و يأمورون بالمعروف و ينهون عن المنكر ..."آل عمران 104: علماً بأن ولائهم شيء لا يغتّر به إقبال الناس أو إدبارهم كما ولادة النبي" ، و لا يغضّ منها أن يُوطّأ الحكم لهم أو يُنزع من دونهم ، بل لم يكن لديهم أدلة شهوة لأن بحکموا دون قبول وإقبال من الناس ؛ و هم الأكثر وعيًا للفرق بين المشروعية و المقبولية .

ختاماً : دعوة ملخصة :

لقد تشتبّهت الأمة في ولائها - وهو أمر أخطر من اختلافها في رؤاها السياسية من إقليمية و قومية ويمينية و يسارية - فإذا بنا نجد صمن تلك الرؤى من يجعل ولاءه لقوى استكبارية أو قل استعمارية، ولا يجد بأساً في إقامة صلات و تقديم خدمات و ترتيب تفاهمات مع العدو" الصهيوني و كان حريّاً به ألا ينحدر إلى ما يمسّ أمن الوطن و ثوابت الأمة و قيم الإنسانية ، و لكن" الطامة الكبيرة تمثّلت في من يُقدّمون أنفسهم بعنوان أزّهم إسلاميّون ولكنهم يستمدّون الدعم من أعداء الإسلام و قوى معروفة بخدماتها القديمة المتتجدة لأولئك الأعداء ، فضلاً عن ادعاء فريق منهم أنه على خط ولاية إٍ وولاية رسوله وسعيه أن يكره مَن سواه على فهمه للولاية وتطبيقها وأفقيه في التفاعل معها إلى درجة إلغائه وإقصائه حيناً بل تكفيره واستحلال دمه وماله وعرضه ، و آن الأوان بعدما صار بأس المسلمين بينهم واستعرّت الصراعات و اشتدت النزاعات ، أن يتداعى عقلاً الأمة من علمائها و مفكّريها و مثقّفيها ولاسيّما المنتسبين إلى الإسلام رؤية ومنهجاً وسلوكاً و المشغولين و المشغوفين بإبلاغ رسالة الإسلام إلى الدنيا ليتدارسو بكل" عزيمة وإخلاص و جديّة و إحساس بالمسؤولية واقع الإسلام و المسلمين في زماننا الحاضر في هذا المؤتمر و سواه و ليخرجوا باستراتيجية جديدة تليق بهذه الأمة و دورها الرسالي و الإنساني" و الحضاري .

و يا إخوة الإسلام، من العلماء والحركات والمنظمات، إن ولاية إٍ ورسوله والمؤمنين تناذينا إلى أن نتولاها ونبراً من كل ولاية لغير إٍ ورسوله والمؤمنين. وأن نلتقي لنبحث كيف نفعّل تولينا وتبرأنا على مختلف الصُّعد سياسياً واقتصادياً وثقافياً واجتماعياً. وما أعظمها من مشترك بيننا يتبعني أن يغلب كل الفوارق وعوامل التشتيت التي يosoos بها ويعمل عليها أعداء الولاية الحقة الإيجابية ودعاية الولاية السلبية المضادة المصطنعة، على أن نأخذ في الحسبان مصلحة وسلامة كل أرض من أوطان المسلمين ومجتمعهم وأمانها وطمان نيتهم وحفظ أرواحهم وممتلكاتهم وحرمة مقدساتهم وصون أعراضهم وأموالهم وحيواتهم، وكذلك كل من يشارك المسلمين في المواطنـة.

ولنحوه<sup>٣</sup> جهودنا باتجاه تحرير أرضنا المغتصبة في فلسطين، ولنجعل من هذا الاتجاه مقياساً لجدية أيّ فصيل في تولّيه وتبديله ولتنتسع قلونبا وأفكارنا لمن يخالفنا في مذهب أو اجتهد ومن يشاركونا في هذا الهدف النبيل وهو استرجاع فلسطيننا الغالية من البحر إلى النهر وعاصمتها القدس ومسجدها الأقصى ومقدساها جميعاً ليعود أهلها إليها أعزه كراماً، أيّاً كان هذا الشريك من أبناء الأمة في توجّهه وطني أو قومي أو إنساني.

ولنتحول جميعاً إلى الولاية و رسوله والمؤمنين في مقابل كل من يتولّ<sup>٤</sup> المستكبرين وأعداء الإسلام وأعداء أي فريق أو فئة أو مذهب من مذاهب المسلمين الثمانية ، ولنجعل من الصحوة الإسلامية نوراً<sup>٥</sup> وخيراً<sup>٦</sup> وبركةً<sup>٧</sup> وقوةً<sup>٨</sup> ومنعةً<sup>٩</sup> وانتصاراً<sup>١٠</sup> للأمة كلّها بدلاً من تحولها خريفاً<sup>١١</sup> أو شتاءً<sup>١٢</sup> يعصف بالأمة ، وتمزيقاً<sup>١٣</sup> لصفوفها و تدميراً<sup>١٤</sup> لأوطانها و تبديداً<sup>١٥</sup> لطاقاتها ، و لنقدم<sup>١٦</sup> للبشرية الإسلام الذي شاءه و جسّده رسول أ في غناه و عمقه و سماحته و انفتاحه و رحمته .

ولنتذكّر قوله تعالى :

" يا أيها الذين آمنوا اتّقوا أ حقّ تقاته و لا تموتون إلا و أنتم مسلمون . و اعتصموا بحبل أ جميعاً و لا تفرّقوا و اذكروا نعمة أ عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمتكم إخواناً<sup>١٧</sup> و كنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبيّن أ لكم آياته لعلّكم تهتدون . و لتكن منكم أمة يدعون إلى الخير و يأمرن بالمعروف و ينهون عن المنكر و أولئك هم المفلحون . و لا تكونوا كالذين تفرّقوا و اختلفوا من بعد ما جاءهم البيّنات و أولئك لهم عذاب عظيم . يوم تبيّن<sup>١٨</sup> وجوه و تسود<sup>١٩</sup> وجوه فأما الذين اسودذت وجوههم أ كفّرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون . و أما الذين ابپضت<sup>٢٠</sup> وجوههم في رحمة أ هم فيها خالدون . " آل عمران 102 - 107 .

ولنرتق إلى أن نكون كما يحبّنا أ و رسوله :

" كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بما أ " آل عمران 110

و أ من وراء القصد، و الحمد أ رب العالمين

25 كانون الأول 2013م.